الا عيسى فانه اوجد من انثى بلا ذكر فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم
سلطانه فلا اله غيره ولا رب سواه ٥ وقوله ورحمة منا اي ونجعل هذا الغلام
رحمة من الله نبيا من الانبياء يدعو الى عبادة الله تعالى وتوحيده كما قال تعالى في الآية
الاخرى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا
والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين اي يدعو الى عبادة
ربه في مهده وكهولته وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا عبد الرحمن بن ابراهيم
دحيم ثنا مروان بن العلاء بن الحارث الكوفي عن مجاهد قال قالت مريم كنت اذا خلوت حدثني
عيسى وكلمني وهو في بطني واذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر ٥ وقوله وكان
امرا مقضيا يحتمل ان هذا من تمام كلام جبريل لمريم يخبرها ان هذا امر مقدر في
علم الله تعالى وقدرته ومشيته ويحتمل ان يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد صلى
الله عليه وسلم وانه كنى بهذا عن النفخ في فرجها كما قال ومريم ابنة عمران التي احصنت
فرجها فنفخنا فيه من روحنا وقال والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا
وقال محمد بن اسحق وكان امرا مقضيا اي ان الله قد عزم على هذا فليس منه
بد واختار هذا ايضا ابن جرير في تفسيره ولم يحك غيره والله اعلم ٥

فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى
جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت
نسيا منسيا ٥

يقول تعالى مخبرا عن مريم انها لما قال لها جبريل عن الله
تعالى ما قال انها استسلمت لقضاء الله تعالى فذكر غير واحد من علماء السلف ان الملك وهو
جبريل عليه السلام عند ذلك نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة حتى ولجت في
الفرج فحملت بالولد باذن الله تعالى فلما حملت به ضاقت ذرعا به ولم تدر ماذا تقول
للناس فانها تعلم ان الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به غير انها افشت سرها وذكرت
امرها لاختها امراة زكريا وذلك ان زكريا عليه السلام كان قد سال الله الولد فاجيب الى
ذلك فحملت امراته فدخلت عليها مريم فقامت اليها فاعتنقتها وقالت اشعرت يا مريم اني
حبلى وذكرت لها شانها وما كان من خبرها وكانوا اهل بيت ايمان وتصديق ثم كانت
امراة زكريا بعد ذلك اذا واجهت مريم تجد الذي في جوفها يسجد للذي في بطن مريم
اي يعظمه ويخضع له فان السجود كان في ملتهم عند السلام مشروعا كما سجد ليوسف ابواه
واخوته

واخوته وكما امر الله تعالى الملائكة ان يسجدوا لآدم ولكن حرم في ملتنا هذه تكميلا لتعظيم
جلال الرب تعالى ٥ قال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين قال قرئ على الحارث
بن مسكين وانا اسمع اخبرنا عبد الرحمن بن القسم قال قال مالك رحمه الله بلغني ان عيسى بن مريم
ويحيى بن زكريا عليهما السلام ابنا خالة وكان حملهما جميعا معا فبلغني ان ام يحيى قالت لمريم اني ارى
ان ما في بطني يسجد لما في بطنك قال مالك اري ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لان الله
جعله يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ٥ ثم اختلف المفسرون
في مدة حمل عيسى عليه السلام فالمشهور عن الجمهور انها حملت به تسعة اشهر وقال
عكرمة ثمانية اشهر قال ولهذا لا يعيش ولد لثمانية اشهر وقال ابن جريج اخبرني
المغيرة بن عتبة بن عبد الله الثقفي سمع ابن عباس وسئل عن حمل مريم قال لم يكن الا
ان حملت فوضعت ٥ وهذا غريب ٥ وكانه ماخوذ من ظاهر قوله فحملته
فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة فالفاء وان كانت للتعقيب لكن
تعقيب كل شيء بحسبه كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما
فكسونا العظام لحما فهذه الفاء للتعقيب بحسبها وقد ثبت في الصحيح ان بين كل
صفتين اربعين يوما وقال تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة فالمشهور
الظاهر والله على كل شيء قدير انها حملت به كما تحمل النساء باولادهن ولهذا لما ظهرت
مخايل الحمل عليها وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس
يقال له يوسف النجار فلما راى ثقل بطنها وكبره انكر ذلك من امرها ثم صرفه ما يعلم من
براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها ثم تامل ما هي فيه فجعل امرها يجوس في فكره لا يستطيع صرفه
عن نفسه فحمل نفسه على ان عرض لها في القول فقال يا مريم اني سائلك عن امر فلا تعجلي
علي قالت وما هو قال هل يكون قط شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذر
وهل يكون ولد من غير اب فقالت نعم وفهمت ما اشار اليه اما قولك هل يكون شجر من غير
حب وزرع من غير بذر فان الله خلق الشجر والزرع اول ما خلقهما من غير حب ولا بذر وهل
يكون ولد من غير اب فان الله خلق آدم من غير اب ولا ام فصدقها وسلم الحال لها ولما استشعرت
مريم من قومها اتهامها بالريبة انتبذت منهم مكانا قصيا اي قاصيا منهم بعيدا عنهم لئلا تراهم
ولا يروها قال محمد بن اسحق فلما حملت به وملات قلتها ورجعت استمسك عنها
الدم واصابها ما يصيب الحامل على الولد من التوصب والتوحم وتغير اللون حتى فطر لسانها فما دخل

Copyright © King Saud University